مقياس فلسفة العلوم

المستوى: السنة الثالثة ليسانس

الأستاذ المسؤول عن المقياس: د. بن رابح أحمد.

المحاضرة الثانية: غاستون باشلار (1884 – 1962) والعقلانية المطبقة. (Le rationalisme appliqué).

تمهيد:

سنحاول ابتداء من هذه المحاضرة التطرق إلى بعض نماذج فلسفة العلوم المعاصرة، والغرض الأول هو التأكيد على أنه لا توجد فلسفة علوم واحدة، فمادام العلم في تطور مستمر فنظرة العلماء – الفلاسفة إلى العلم والفلسفة حتما ستتغير، وسيتم التركيز على الأشكال المعاصرة من العقلانية من خلال التعرف على فلسفة باشلار ثم كارل بوبر، وعلى صعيد ظهور وتطور المعرفة العلمية سنتطرق إلى توماس كوهن باعتباره واحدا من العلماء الفلاسفة الذي لا ينكر علاقة التكامل بين العلمي والفلسفي والدور الذي يلعبه تاريخ العلم في تكريس وبعث المعرفة العلمية.

أولا: العقلانية المطبقة عند باشلار.

إن معرفة ابيستيمولجيا[1] غاستون باشلار أو ما يسمى في التقاليد الفرنسية ‹‹ نظرية العلم›› تستوجب الاطلاع على مؤلفين رئيسيين لتتكشف لنا أهم الأطروحات التي ميزت فلسفة العلم عند هذا الفيلسوف الفرنسي.

[1] لا نميز في ا الصدد بين فلسفة العلم والإبستيمولوجيا نظرا للتداخلات الموجودة بينهما، انظر كتاب محمد عابد الجابري "مدخل إلى فلسفة العلم، العقلانية المعاصرة وتطور العلم، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط 6، ص ص 31/24.

الكتاب الأول هو ‹‹ الفكر العلمي الجديد›› الذي أصدره سنة 1934 يعكس بشكل جلي أهم ما تتميز به فلسفته بجانبيها، الأول نظرة الفلسفة إلى العلم، والثاني علاقة العلم بالفلسفة، وبالتالي المعنى الذي يتخذه العقل في ضوء تطور العلم المعاصر. فعنوان الكتاب كما هو في مظهره لا يعني ما هو الفكر؟ لان أن العلاقة المتوترة والمعقدة من جهة بين العلم والفلسفة والمشاكل التي يطرحها العلم إن على صعيد المبادئ أو المنهاج تفرض إعادة النظر النقدية في كل هذه المفاهيم التي شكلت الاختلاف بين المذاهب الفلسفية الكلاسيكية.

إبستيمولوجيا باشلار أو فلسفته العلمية يمكن وضعها كما أكد هو تحت عنوان رئيس "فلسفة الرفض" او "LA PHILOSOPHIE DU NON " ، والمقصود بها كما شرح ذلك محمد عابد الجابري:

> لقد وصف باشلار فلسفته بأنها «فلسفة النفي» *La Philosophie du non* (وذلك هو عنوان أحد كتبه)، الفلسفة المؤسّسة على العلم الحديث والتي ترفض الآراء العامية والتجربة الابتدائية والوصف المبني على مجرد الخبرة. إنها الفلسفة التي تقول لا لعلم الأمس وللطرق المعتادة في التفكير، ولا تأخذ «البسائط» أي الأفكار البسيطة على أنها أفكار بسيطة فعلاً يجب التسليم بها دون مناقشة، بل إنها تجتهد في نقد هذه «البسائط» نقداً جدلياً لتكشف عمّا تنطوي عليه من لبس وغموض. ولكن ذلك كله لا يعني أنها فلسفة سلبية. كلا. يقول باشلار: «والواقع أنه من الواجب أن ننبه دوماً إلى أن فلسفة النفي ليست من الناحية السيكولوجية نزعة سلبية، ولا هي تقود إلى تبني العلمية ازاء الطبيعة، فهي بالعكس من ذلك فلسفة بنّاءة، سواء تعلق الأمر بنا نحن أو بما هو خارج عنّا، فلسفة ترى في الفكر عامل تطور عندما يعمل: إن التفكير في الموضوعات الواقعية معناه الاستفادة مما يكتنفها من لبس وغموض قصد تعديل الفكر وإغنائه. وتجديل التفكير (تطبيق الديالكتيك عليه) معناه الرفع من قدرته على إنشاء الظواهر الكاملة انشاء علمياً، وعلى احياء جميع المتغيرات المهملة التي كان العلم، والفكر الساذج، قد أهملاها في الدراسة الأولى»[١١٦].

ففلسفة الرفض ليست فلسفة سلبية هدامة تلغي سابقاتها لتفرض نفسها كبديل حتمي وتسقط بالتالي في أحادية فكرية منغلقة تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة كما فعل أصحاب النزعة المنطقية، بل تعني ضرورة إعادة النظر في العلاقات بين العلم والفلسفة من جهة أولى والعقل والعلم من جهة ثانية والممارسة العلمية من جهة ثالثة لتصبح فلسفة منفتحة تسقط كل المطلقات التي ترسخت سابقا وشكلت كما هو معروف عند *" عائقا معرفيا "*. بهذه المحطات الثلاث يظهر لنا بوضوح المشروع

الإصلاحي الذي شكل مجمل فكر باشلار. وتأكيدا لما سبق ذكره يقول الجابري:

> إن «فلسفة النفي» إذن، ترفض كل تصور علمي يعتبر نفسه كاملاً نهائياً، إنها الفلسفة التي ترى «أن كل مقال في المنهج هو دوماً مقال ظرفي، مقال مؤقت لا يصف بناء نهائياً للفكر العلمي»، بل فقط، بناء يبنى على الدوام ويعاد فيه النظر باستمرار. ولذلك كان العلم وتاريخ العلم لا ينفصلان، باعتبار أن العلم محاولة دائبة للكشف عن الحقيقة، وأن تاريخ العلم هو «تاريخ أخطاء العلم».
>
> [2].

ويستند الجابري في كلامه ذاك إلى ما قاله باشلار نفسه : ‹‹ إن فلسفة النفي (يعني فلسفة الرفض) ليست من الناحية السيكولوجية نزعة سلبية ولا هي تقود إلى تبني العدمية إزاء الطبيعة بالعكس من ذلك هي بناءة [3]››

ضمن هذا الإطار لنا أن نفهم بأن العلاقة بين الفكر والصواب أو لحقيقة انقلبت، فلم يعد المهم البحث عن الصواب لأن ذلك لا يسهم في تقدم العلم، فالبحث عن الخطأ هو الضامن الأساسي لأي تقدم علمي : ‹‹"أن الحقيقة عند باشلار هي شكل من أشكال المعرفة التي لا نستطيع أن نسير على دربها إلا في إطار النظر لعلاقتها باللاحقيقة ››.[4]

في معنى العقلانية المطبقة

لقد سبق وأشرنا إلى أن ابستيمولوجيا باشلار تندرج ضمن ما سماه هو بالعقلانية المطبقة (ونجد في بعض الترجمات العقلانية التطبيقية)، هذه العقلانية تختلف عن العقلانيات القديمة منها والحديثة، وباختصار فإن المشكل الذي أدى باشلار إلى نحت هذا المصطلح هو الخلاف الذي كان قائما بين العقلانيين والتجريبيين حول مسألة علاقة العلم بالواقع وما هي حقيقة العلاقة بينهما ؟؟

من المشاكل الأساسية التي تطرق إليها باشلار في كتابه " الفكر العلمي الجديد " قضية ضرورة ممارسة النقد المتواصل للمفاهيم العلمية مهما كانت، بهذه

---

[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلم، العقلانية المعاصرة وتطور العلم، مرجع مذكور سابقا،ص 38.

[3] غاستون باشلار " فلسفة الرفض " ترجمة: خليل أحمد خليل ص 77.

[4] غادة الإمام، باشلار وجماليات الصورة دار التنوير لبنان ط1 2010ص 53.

الكيفية يسقط من حساباته مسألة المعرفة المطلقة الصالحة لكل زمان ومكان، فالعقل ليس جاهزا تاما من حيث تكوينه وتركيبه، والواقع ليس كما يبدو لنا، فالمعرفة العلمية هي التي تنشأ وتتشكل عن طريق الملاحظة وتدخل العقل، وهنا يؤكد على مسألة بالغة الأهمية تتمثل في التكامل بين العقلي والواقعي‹‹ فالتجربة تحتاج إلى عقل، والعقل يحتاج إلى تطبيق ››، ولهذا لا يمكن الفصل حسب باشلار بين ما هو تجريبي وما هو عقلي، إن المعرفة بطبيعتها تجريبية وعقلية معا، وكل معرفة عقلية تتضمن عنصرا من التجربة وفي كل معرفة تجريبية توجد مبادئ وأفكار عقلية. فالعالم الذي يجرب -حسب باشلار- في حاجة إلى أن يستدل، كما أن العالم الذي يستدل في حاجة دائما إلى أن يجرب. وهذا ما أدى به إلى الاستنتاج بأن الفكر العلمي المعاصر يتميز بالربط الوثيق بين النزعة التجريبية والنزعة العقلية، فالأولى في حاجة إلى أن تعقل والثانية في حاجة إلى التجربة والتطبيق، ومن هنا تصبح العقلانية التي يدعو إليها باشلار عقلانية مطبقة.

قراءات:

1 - باشلار غاستون، العقلانية المطبقة، ترجمة بسام الهاشم، 1948، https://www.kutub-pdf.net/book/

2- // // ، الفكر العلمي الجديد، 1934.

3- // // ، فلسفة الرفض، ترجمة خليل أحمد خليل،

4- محمد عابد الجابري. مدخل إلى فلسفة العلوم- العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي. في جزئين- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت. ط6 2006

المواقع :

الفلسفة المنفتحة عند غاستون باشلار، **https://couua.com/2017/07/20/**

نجيب جيهان،

العقلانية العلمية عند غاستون http://www.thought-space.3abber.com/post/177765

باشلار - محمد مستقيم